# باب المراسلة والمناظرة

١ — الفصيلة الصنوبرية

٢ — الشواهد العلمية

---

للامير مصطفى الشهابي

حضرة رئيس تحرير المقتطف : قرأت في عدد نيسان « ابريل » من المقتطف للاديب الألمعي السيد امين الريحاني مقالاً نفيساً عن « كتاب الكليات » لأبي الوليد محمد بن رشد وهو على ما يظهر باكورة مخطوطات عربية سينشرها معهد الجزال فرنكو في المغرب الأقصى

وقد لفت نظري في ذلك المقال الجملة الآتية : « وإنما السرو والعرعار والشربين والأرز هي كلها في رأي الثقة الأمير مصطفى الشهابي من جنس الصنوبر » . فعجبت لهذا الرأي الذي لم أقل به قط لأنهُ مخالف للحقيقة . وأنا لم أكلم أديباً ولم اراسله في هذا الموضوع . ولهذا جزمت بأنهُ نقلهُ عن الملاحظات التي نشرتها في مقتطف تموز « يوليو » من السنة الماضية حيث قلت « والأرز من الفصيلة الصنوبرية وليس من الصنوبر . وهو غير الشربين ... » الخ . وقلت « إن اهم اشجار الفصيلة الصنوبرية مما تنبتهُ الطبيعة في جبال الشام هي الشربين والعرعر والدفران والأرز والسنوب والصنوبر » الخ ثم أوردت اسماءها العلمية

والظاهر ان السيد امين اعتمد على ما استشهد بي في مقاله منها فأورد لفظة « جنس » بدلاً من لفظة « فصيلة » على ما بين اللفظين من بون شاسع . ولا عجب على الأديب الكبير أن يسهو في هذا الباب ، فانهُ لا يطالب بأن يكون نداً في غير اختصاصه . وبعد ان الأشجار المذكورة كما قلت هي جميعاً من فصيلة الصنوبرية وليست من جنس الصنوبر . بل الصنوبر جنس والأرز جنس ثان والشوح وغيره جنس ثالث والسرو والشربين جنس رابع والعرعر جنس خامس . وفي الفصيلة الصنوبرية اجناس اخرى مشهورة تنبت في سورية وغيرها خصوصاً . وفي كل من هذه الاجناس انواع . واشجار الفصيلة الصنوبرية كلها نباتات كاملة اشجار بصيلة النخلة امرارها . وفي تلك الاشجار الخشبية والحلاوة والقوة والمقاومة ... جعلني منذ صغر سني على تأليف رسالة طويلة فيها بعد نشرت منها شيئاً في المقتطف (١)

ومما يهم معرفته في هذا الباب انهُ لا يجوز اليوم اطلاق في اسمه نباتات ... التي لا يجوز اطلاق اللفظة الواحدة على اكثر من نبات واحد . ولكن عدم ... في الألفاظ العلمية

---

(١) ... مرجعاً على الامير واضع

التي تطلقها على النباتات في كل قطر من الاقطار العربية . كما يجب عدم مجاراة اصحاب كتب اللغة في اوهامهم في هذا الصدد ، لأن اصحاب المعجمات القديمة لم يعرفوا الالفاظ تعريفاً علمياً . وقد كانوا جاهلين بتفصيلات العلوم الحديثة وتقسيماتها . أما أصحاب المعجمات الحديثة فانَّ جلَّهم لم يزد على أن نقل بالحرف ما وجده في الأمهات المذكورة .

وها كم مثالاً صحيحاً يوضح ما أحد أصحاب كتب اللغة وهو الفيروزابادي في القاموس المحيط ( ولديَّ من هذه الأمثلة عشرات ) فانكم اذا قرأتم مادة «أرز» تجدون «الأرز وبضم شجر الصنوبر او ذكره كالأرزة او الشرعر ...» وإذا انتقلتم الى مادة «شرعر» وجدتم : «والشرعر شجر السرو» . فهذه أربع أشجار من أربعة اجناس نباتية مختلفة قد خلط الفيروزابادي بعضها ببعض حتى صار القارىء عاجزاً عن التفريق بين الشرعر والسرو والأرز والصنوبر . وجاء دوزي فخلط بين الشربين والأرز فكان خبطه ضئيلاً على إبالة (١) . أما التُّوب فلم يعرفه الفيروزابادي بأكثر من قوله « شجر عظام بالروم ... القطران » فالقطران بالروم اي بالأناضول يستخرج من الصنوبر والشوح والشرعر وغيرها فأيها هو التُّوب ؟ وأورد بوست لفظة التُّوب في جملة الأسماء التي تطلق على الأرز على حين أن اللفظة المذكورة يجب ان تطلق على الجنس المسمى Abies باللسان العلمي و Sapin بالفرنسية ، ومن هذا الجنس نوع الشوح Abies Cilicica .

ويتضح مما تقدم التباين المتفق بعض أشجار الفصيلة الصنوبرية وحدها ان كتب اللغة ناقصة ومشوَّشة ، وانه لا يجوز اقتباس ما ورد فيها على علاَّتها في وضع المصطلحات العلمية . واذا كانت الطبيعة لا تنبت اشجار الفصيلة المذكورة في مصر فأحرى بالاساتذة المصريين ان لا يكون واحدهم حاطب ليل ، فهذه أشجار عشنا معها في جبالنا من المهد . وسنرقد تحتها في اللحد . وقد أنبتناها من البزور وغرسناها باليدين . وعلمنا نارها واغصانها الى بارئس حيث عيَّنا أجناسها وانواعها حتى اضافها النباتية على أشهر اسفار وراجعنا في اسمائها العربية كل كتب اللغة والنبات من عربية وفرنجية . ولم نكن مرافقة السكان الذين يعيشون في حراج بسان ومجلون واللاذقية والسكام وصورس . أفبعد هذا يقتضي بأننا محتجُّون بمثل معجم المصطلحات الفنية تأليف تنير وسنايان في القسطنطينية واذا ظنَّ الكتَّاب والأساتذة يطلقون كل لفظة من الألفاظ المذكورة على كل جنس من أجناس الفصيلة الصنوبرية فلا تفسد اللغة ؟ وهل يكونون قد جعلوا بين الضاد يتسع لهم ... يكونون قد وقفوا به حيث وقف أجدادنا منذ قرون من زادوه تشويشاً ؟

والملاحظ ان ما أوردته من الأسماء العربية مع الاسماء العلمية التي تنظر اليها ، بعض

(١) القطران في دوزي او ... في جميع كتب اللغة ، وهو مستخرج من عصارة شجرة الصنوبر الحلبي ... بالتقطير

أنواع الفصيلة الصنوبرية في مقتطف تموز « يوليو » ١٩٣٩ هي التي يجب ان يعوّل عليها دون خلط اسم بآخر. واذا أتيح لي طبع « معجم الألفاظ الزراعية » فسيجد القارىء فيه الاسماء التي وضعتها لنحو ثلاثين نوعاً من الفصيلة المذكورة، وهي ليس لها اسماء عربية، ورجعت في تسميتها الى أصول اشتقاقها اللغوية والى مدلولات تلك الاسماء. وأنا لم أطلع على (كتاب النكبات) الذي كتب عنهُ السيد امين الريحاني لكن شكّ في تسمية النبتات الثلاث التي ذكرها هو شك في محله. فالعرعر ليس يرتي السرو وعصا الراعي ليس باتاً شائكاً والدنب غير البلوط والسنديان

***

وقرأت في مقتطف نيسان « ابريل » ١٩٤٠ تتمة مقال ممتع لمعالي وزير التجارة والصناعة في مصر أشار فيه الى زراعة النباتات في ماء يضاف اليه مقادير مثلى من العناصر الغذائية. وهو ما كنتم تناولتموه في عددين من اعداد السنة الماضية وأسميتموه الزراعة المائية. وقد ذهب معالي الوزير كما ذهبتم أنتم الى انهُ يمكن ان يكون لهذه الطريقة فوائد عملية اقتصادية كبيرة في المستقبل. فأنا لا أشاطركم هذا الرأي. وقبل ذكر الاسباب البسيطة التي استند اليها ان أقول ان هذا الموضوع ليس من الموضوعات الحديثة، فقد تناوله علماء الكيمياء الزراعية والفسيولوجيا النباتية منذ أواخر القرن الماضي. أي بعد ان عرفت عن الضبط المواد التي تمدُّ النباتات في غذاء النبات وتركيبه والمواد التي يكفي وجود مقادير صغيرة جداً منها في التراب لتساعد النبات على امتصاص أغذيته والنمو نمواً حسناً. وما برحت اتذكر جيداً التجارب التي كنا نجريها في مدرسة غرينيون الزراعية العليا لتحديد تأثير كل عنصر من عناصر الغذائية، والعناصر المساعدة في النباتات المزدرعة في الرمل سقم او في الماء المقطر. وأتذكر أني كنت دوّنت على بعض هذه التجارب عندما كنت مديراً للزراعة والمصالح الاقتصادية

ومن الثابت ان لكل نبات زراعي غذاء مثلى يجعل هذا النبات يزرّ المحصول. وانهُ اذا زرع هذا النبات في ماء أضيف اليه هذا الغذاء يزرّ محصوله بقدر اضعاف المحصول المتوسط في التربة الزراعية. فهذه التجربة مرة لا تحتاج الى حذاقة. لكن المهم هو ان نعرف هل يمكن الاستفادة من هذه الزراعة اقتصادياً. وما هو مبلغ هذه الاستفادة؟

فالنبات حيّ مر وحبوب حنطة نامية حتى درجة المحصول في مكان كذا من كاف وعناصر غذائية كافية وحوامض ماء في الطريقة الزراعة المائية ليست من الاشياء التي يسهل تدبرها او صنعها. واذا أمكن صنع أحواض صغيرة لزراعة بعض الخضراوات ونباتات الفواكه البستانية (وهذا ما يفضل) فكيف نسبيل الى صنع أحواض لتسع لزراعة النباتات الحبية في الغالب كالحنطة والشعير والقطن وما شاكلها؟ وكيف السبيل الى تدبر [illegible]